من ذكريات لبنان

الحـــــذاء الذهبي

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المـازني

« استيقظت ! »

وكانت قد أغفت ، وهي قاعدة على دكة تحت شجرة صنوبر ، وذراعها على سور النافورة ، ويسراها على حجرها ، ثم فركت عينيها فقلت :

« والآن أرجو أن يلهمها الله ألاّ تغير جلستها ، فانها هكذا أحلى ! »

فحطت ساقاً عن ساق ، وتناولت حقيبتها الصغيرة وفتحتها ونظرت في المرآة ، ثم أخرجت منديلاً ، وجعلت تلمس به وجهها في مواضع فقلت :

« ولها جيد جميل أيضاً — وأناملها مخضبة . . . الآن صرت لا أرى عيباً في قول من يقول إن هذا من دم العشاق ! »

فابتسمت وقالت — كأنها تحدث نفسها — « ماذا يقول هذا الرجل ؟ »

فقلت ، وأنا أنكث الأرض بعود صغير في يدي : « إنه يسأل : أتراك زوجته ؟ »

فزوت ما بين عينيها وقالت : « زوجته ؟ زوجة من ؟ »

قلت : « زوجتي أنا ! »

فصاحت : « إيه ؟ »

قلت : « زوجتي . . . تعرفين الكلمة ؟ . . يتهجونها هنا بالزاي والواو والجيم ، وأتهجاها أنا بالحاء والباء و . . . »

وكانت تنظر إليّ مبهوتة ، ثم ابتسمت وسألتني :

« هل تعني أنك لا تستطيع أن تعرف زوجتك حين تراها ؟ »

فأهملت السؤال وقلت : وأنا أشير بالعود الذي في يدي :

« إنك هي . . . أو أنت عيناها ، وجيدها وساقاها . . . »

فخيل إلي أنها فهمت وقالت : « أوووه ! ألك زمان طويل لم ترها ؟ »

قلت : « طويل جداً . . . ربع ساعة ! »

فصدمها هذا فقطبت وقالت : « إنك تسخر مني » ومدت يدها إلى الحقيبة

فقلت : « لا تعجلي ! ألم أقل إنك هكذا أحلى ؟ وعلى ذكر ذلك أسألك : كيف يمكن أن تأكلي بهذا الفم الصغير ؟ »

فقالت : « إني ذاهبة . . . اسمح لي »

قلت : « إنها ذاهبة ؟ ؟ هل سمع أحد بمثل هذا ؟ ليت شعري كيف تستطيع أن تمشي في مثل هذا الحذاء الدقيق ؟ ثم تجيء زوجتي فتوسعني تأنيباً ! »

وكانت تهم بالقيام ، فترددت ، ثم سألتني :

« من أنت ؟ إني أريد أن أعرف »

فقلت ، وعيني إلى الأرض : « إنها تسأل ؟ بداية حسنة على كل حال — خطوة في الطريق القويم — ومتى رأيت امرأة تعنى بأن تسأل من يكون الرجل ، فاعلم بأن الأمل في . . . . »

فانتفضت ثمة وقالت وهي غاضبة : « سأذهب »

ولكنها لم تكد تخطو خطوة واحدة حتى صرخت وارتدت فانحطت على الدكة ، وانحنت فدت يديها إلى قدمها اليمنى ، فأسرعت إليها أسألها ما الخبر ، وكانت قد خلعت الحذاء ودست فيه أصبعين تتحسس بهما ، فقالت : « مسمار ! ماذا أصنع ؟ »

فأخذت الحذاء ونظرت فيه ثم قلت : « من كان يتصور أن هذا الحذاء الصغير يمكن أن يسكنه مسمار ضخم كهذا ؟ والآن هل يمكن أن يكون في حقيبتك عتلة أو معول أو فأس أو أي شيء أصغر أو أكبر ندق به هذا المسمار الملعون ؟ »

فقالت وهي تضحك : « لا تمزح من فضلك ! »

وكان لهذه السياسة غير بعيد أسوأ الأثر في انحلال الجيش وفتور قواه المعنوية لما جاشت به صدور الضباط والجند العرب من الحفيظة والسخط على هذه السياسة المهينة ؛ وكانت هزيمة الناصر في موقعة الخندق الشهيرة (الاُنديجا) أمام نصارى الشمال (٣٢٧ هـ — ٩٣٩ م) ترجع من وجوه كثيرة إلى هذا الانحلال المعنوي الذي سرى إلى الجيش من جراء الاحقاد القومية والطائفية (١)

للبحث بقية — محمد عبد الله عنان

(النقل ممنوع)

(١) Dozy ; idib ; II p. 153

قلت : « هذا أحسن – نعم يجب أن نضحك إذا لم نستطع أن نفعل ما هو خير من ذلك ؟

فقالت : « ولكن ألا تستطيع شيئاً ! »

وتلفتت فقلت : « أستطيع أن أضع النعل على وجهي ، وأقبض على رأس المسار بأسناني ، وأشد . . . هكذا »

فصاحت بي وهي تلوى من الضحك « أرجو .. أرجو .. »

فقلت : « أعرف ما تريدين بغير حاجة إلى رجاء . . . أن أحملك إلى حيث تقصدين »

ففاض الابتسام ، واعتدلت في جلستها وقالت : « أتظن أني أسمح لك بذلك ؟ مستحيل ! »

قلت : « ولم لا ؟ إنك أخف من الريشة ، وفي وسعي – بعد قليل من التدرب – أن أظهر بك على السرح ، وأمشي بك على الحبل ، محمولة على أسناني »

فضحكت ثم قالت . « إنك فظيع ! »

قلت : « بالعكس . . . إني لطيف جداً . . . »

فقاطعتني ضاحكة وقالت : « دع لطفك الآن . . . »

– قبل أن تعترف به ؟ هذا مطلب بعيد !

– وقل لي ما العمل ؟

فقلت : « العمل أن تجلسي حيث أنت – وإن كنت سأحرم منظرك الفاتن وأعود أنا إلى « القهوة » ثم أكر إليك بالحذاء في يدي – لا في رجلي – بعد أن نطرد هذا الطفيلي »

* * *

وانحدرت إلى حيث « القهوة » وعثرت مرتين أو ثلاثا ، فآمنت أن العجلة من الشيطان ، ولكني مع ذلك ، وعلى الرغم مما أصابني ، ظللت أعدو كأن ورائي ألف كلب من كلاب الصيد ، وحرت بين أشجار القهوة فوقفت أنادي : « يا حاج الياس ! يا حاج الياس ! »

فأقبل عليّ اثنان من أعوانه ؛ فأشرت اليهم بالحذاء وطلبت شيئاً أخرج به المسار

وكانت زوجتي – مع أولادنا – على مقربة مني ، وكانت تراني ولا أراها ، فقالت : « ما هذا ؟ »

فدرت حتى واجهتها وقلت ، وأنا أمشي اليها :

« هذا ؟ آه ! هذا حذاء جميل ... ... »

فدهشت وسألتني : « من أين جئت به ؟ أين وجدته ؟ »

قلت : « لا تسألوا عن أشياء إن تُبْدَ لكم . . . . صدق الله العظيم ... خذي جربيه ! اخلعي هذا ... »

وانتزعت حذاءها الأعن ، وذهبت أعدو به

* * *

« ولكن هذا ليس حذائي ؟ »

قلت : « يا فتاتي المتبطرة .. هو حذاء والسلام .. تستطيعين أن تلبسيه وتمشي به وتقطعي اربعمائة متر ، ثم تخلعيه لا شاكرة ولا مشكورة ، ثم تلبسي حذاءك الجميل ، وتتمدي به كما أنت الآن ... رشيقة أنيقة ... فاتنة الجيد ... ساحرة العينين ... وتروحي تهادي مع زوجتي التي تصب على رأسي الآن أحر اللعنات ... ومن يدري ؟ إذا لم تعجلي قبل أن يطاني بها الحنق والسخط ، فقد تلقي بحذائك في البركة ... إن النساء هكذا ... حذاؤك جميل ، ولكن كل امرأة تعتقد أن حذاءها هي أجمل وأنفس .... هيا بنا ! »

فوقفت وهي تقول : « ولكني لا أستطيع أن أمشي به ... واسع ... »

قلت : « لا تدى زوجتي – أعني قدميها ، فانها جميلة ... ثم إن المشي في حذاء واسع خير من المشي في حذاء في جوفه مسمار .. تعالي بالله قبل أن يغرق في البركة »

فتوقفت وصوبت عينها الى قدميها وقالت : ولكنه فضي وحذائي ذهبي ؟ »

قلت : قوس قزح ... تعالي ... أترانا في معرض أزياء هنا ؟ نحن في هذه الجنة المغروسة على جبال « الشوير » ولا أحد معنا ولا ثالث لنا إلا .... إلا الهوى ... كآدم وحواء ... وعلى ذكر ذلك أظن أن حواء كانت تلف ذراعها بذراع آدم إذ يسيران في الجنة »

* * *

وقالت زوجتي ونحن مقبلان عليها :

« لم أر مثلك أبدا في الدنيا ! »

قلت : « صدقت يا امرأة ! وأين تجدين في هذه الدنيا نظيري »

قالت محتجة : « تخطف حذائي وترمى لي هذا ا ... »

وأشارت بازدراء إلى حذاء الفتاة ، وكان ملقى على الأرض

فقلت : هس ! إن اللص مى ، أعني المسئولة عن الجريمة والمحرضة على ارتكابها »

فصاحت الفتاة وضربت بكفها على صدرها : « أنا ؟ »

ونظرت زوجتى الى قدمى الفتاة ثم نهضت وأقبلت عليها وقالت ، وهى تمد اليها يمينها :

« أوه ! لم أكن أعرف ؟ ولكن كيف استطعت أن تمشى فيه ؟ إنه واسع ... ورجلك أصغر ... وأجمل أيضاً ! »

فالتفت إلى الفتاة وقلت : « أتسمعين ياهذه ؟ إنها تقر لرجلك بالمزية ! وجيدها ؟ أليس ساحراً يا امرأة ؟ ألست معذوراً إذا اشتهيت أن آكله ؟ وعيناها ؟ وهذا الفم العجيب الذى لا أدرى كيف يتسع للكلام ، وان كان قد اتسع جدا لفم حذائك يا امرأة ! »

فريعت الفتاة وصاحت : « أنا ذميمة؟ حرام عليك ! »

فقلت : نعم ... جدا ... قلت انه واسع عظيم ، وانه يذكرك بالباخرة تايتانك ، وانه يسع جيشاً عرمرما من الأقدام الكبيرة الغليظة ، وانه ...

وكانت زوجتى تضحك ، أما الفتاة فقد خيل الىّ أنها ستسقط على الأرض

وقالت زوجتى : « فظيع ! ألا تقفل هذه البوابة ! لاتعبأى به يا حبيبتى ولا تلتفتى اليه ... انه هكذا دائما ... والآن خذى هذا المسمار واحتفظى به للذكرى »

فقلت : « وأنا ؟ ما أجرى على التعب ؟ لقد قطعت كيلومترا فى الذهاب والاياب – قطعته عدوا . . . وهذه الأحذية على راحتى الطاهرة .... »

فقالت زوجتى : « جزاؤك أن تقعد مع الأولاد ، ونذهب نحن نتمشى .... »

قلت : « هذا جزاء سنمار . . لا بأس ! مجنون من يصنع معروفا فى بنت من بنات حواء .... »

فقالت زوجتى : هذا رأيك ؟ إذن لن أدعوها إلى العشاء معنا ! »

فصحت : « لا لا لا . . . انما أعنى بنتا من بنات آدم »

فضحكت الفتاة ، ورمتنى زوجتى بفستقة . . . . .

ابراهيم عبد القادر المازنى

قصـــة المكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور أحمد زكى

وكيل كلية العلوم

كوخ KOCH

رابع غزاة المكروب

طبيب القرية الذى ضجر بالطب لجهله أسباب الداء ثم ادعائه علاجه ؛ الذى شغله البحث فى أصول الأمراض عن مداواة أربابها ؛ الذى حقق أحلام بستور وأثبت أن للمكروب ينتج الأمراض ، وأن لكل مرض مكروباً يخصه ، ويخصه وحده ؛ الذى علم الدنيا كيف تصطاد النوع الواحد من المكروبات ، وتصطاده خالصا خاليا من الأخلاط ؛ الذى كشف مكروب الجمرة الخبيثة ، قاتلة الماشية والانسان ، ومكروب السل قاتل الانسان والحيوان ؛ الرجل الذى كشف مكروب الكوليرا على أرض مصر فى أجسام ضحاياها . البطل الذى نزل بساحات الموت فأظلته فيها أرفع بنوده ، وقاتلته على أرضها أفتك جنوده ، فأسر منها على هواه ، وخرج عنها سالما قد أخطأته سهامها قضاء وقدراً

المترجم

كان كوخ قد اعتزم أن يسيح فى الأرض ويضرب فى مجاهلها ضرباً ، ثم خاب ، وها هو ذا يبدأ سياحات غريبة فى مجاهل أشد غرابة . إنى أحيانا أقرن كوخ بلوفن هوك فأجد الأول أعجب وأغرب فى صيادته المكروب وأكثر انهاما ، وأجدكليهما على السواء عصاميا فى كسب العلم . كان كوخ رجلاً فقيراً يرتزق من صناعة الطب ، وكل ما عرف من العلم هو ما تضمنته مقررات الطب فى مدارسه ، وعلم الله ما كان فى هذه الدراسة شىء يعلّم ممارسة التجارب ويدرب فى فن التجريب . ولم يكن لدى كوخ من أدوات التجربة غير ذلك المكرسكوب الذى أهدته إليه زوجه المخلصة إمى فى عيد ميلاده ، أما عدا هذا من الأدوات فكان عليه أن يحتال لتدبيره وتصميمه وأن يصنعه بيده من قطع الخشب وخيوط القِنّب وشمع الأختام . وترك يوماً مكرسكوبه وفئرانه وجاء زوجَه يخبرها فى تحمّس بالجديد العجيب الذى وجد ، فما